الفاصلة في السياق القرآني
((سورة مريم أنموذجاً))

الباحث
د/ محمد حسين النقيب
اليمن

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	2
الفصل الأول: علم الفواصل في القرآن وأنواعه	3
المبحث الأول: تعريف الفاصلة وأهميتها وطرق معرفتها	3
تعريف الفاصلة	3
أهمية الفاصلة	5
طرق معرفة الفاصلة	6
المبحث الثاني: خصائص الفاصلة وأنواعها	8
خصائص الفاصلة	8
أنواع الفواصل في القرآن	8
المبحث الثالث: أسرار الإعجاز في الفواصل وعلاقتها	11
من أسرار الإعجاز في الفواصل	11
علاقات الفواصل	12
الفصل الثاني: الفاصلة في سورة مريم دراسة تطبيقية	15
المبحث الأول: بين يدي السورة	16
تسمية السورة وترتيبها ومناسبتها لما قبلها	16
موضوعات السورة ومقاصدها	16
المبحث الثاني: مناسبة الفواصل لآياتها دراسة تطبيقية	19
مناسبة الفواصل لآياتها من حيث السياق	19
من بدائع فواصل سورة مريم	22
قائمة المراجع	23

ملخص البحث:

القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي عجز العرب الفصحاء عن الإتيان بمثله أو جزء منه.

ويعد النظم السياقي للقرآن الكريم آية الإعجاز لأنه يحوي على نظام خاص يستميل كل ذي لب إلى فصاحته وبيانه.

وتأتي أهمية هذه الدراسة (الفاصلة في السياق القرآني) لإظهار الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم.

واشتملت الدراسة على فصلين:

الفصل الأول: علم الفواصل في القرآن وأنواعه, وفيه بيان لأسرار الإعجاز في الفواصل وعلاقاتها المتعددة.

الفصل الثاني: الفاصلة في سورة مريم دراسة تطبيقية.

وقد ناقش الباحث السياق القرآن مرتبطاً بالفاصلة وخلص إلى كثير من النتائج التي تبين الإعجاز في الفاصلة القرآنية من خلال السياق النصي.

الباحث
د/ محمد حسين النقيب
اليمن

الفصل الأول
علم الفواصل في القرآن وأنواعه

المبحث الأول: تعريف الفاصلة وأهميتها وطرق معرفتها
تعريف الفاصلة
أهمية الفاصلة
طرق معرفة الفاصلة
المبحث الثاني: خصائص الفاصلة وأنواعها
خصائص الفاصلة
أنواع الفواصل في القرآن
المبحث الثالث: أسرار الإعجاز في الفواصل وعلاقتها
من أسرار الإعجاز في الفواصل
علاقات الفواصل

المبحث الأول
تعريف الفاصلة وأهميتها وطرق معرفتها

تعريف الفاصلة:

أولاً: تعريف الفاصلة لغةً:

لمادة (فصل) في اللغة أصل واحد تلتقي عليه الاستخدامات المختلفة لهذه المادة, وهو الفصل بين الشيئين, والفصل من الجسد: موضع الفصل وبين كل فصلين وصل, مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين.(ابن منظور, لسان العرب201/6)

ثانياً: تعريف الفاصلة اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات العلماء للفاصلة نجمل بعضاً من آرائهم على النحو التالي:

1- **السيوطي, والزركشي:**
كلمة آخر الآية (السيوطي, التحبير في علم التفسير ص499- الزركشي, البرهان, جـ53/1)

2- **الرماني والباقلاني:**
حروف متشاكلة في المقاطع, يقع بها إفهام المعاني
وقد نقض عبدالكريم الخطيب في كتابه إعجاز القرآن هذا التعريف بقوله (وعلى هذا فالتعريف الذي عرف به القاضي أبو بكر الفاصلة ليس تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون إذ أن قوله "يقع بها إفهام المعاني" يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة يتقابل مع المعاني الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها, وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية, أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها). (الخطيب, إعجاز القرآن ص207)

3- **أبو عمرو الداني:**
كلمة آخر الجملة. (الزركشي, البرهان, جـ53/1)

4- **ابن منظور:**
أواخر الآيات من كتاب الله فواصل. (ابن منظور, لسان العرب 201/6)

5- **من المحدثين د. عدنان زرزور:**
الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها, ص38)

6- **د. محمد الحسناوي:**
ناقش الآراء السابقة جميعا ورجح أن الفاصلة (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وشجية النثر). (د. محمد الحسناوي, الفاصلة في القرآن ص29)

وإذا نحينا تعريف الإمام الداني – رحمه الله – جانباً لأنه مما يتعلق بالفواصل اللغوية لا الاصطلاحية نلحظ مواطن اتفاق بين الجميع في:

1- موقع الفاصلة آخر الجملة.
2- دور الفاصلة في إفهام المعنى.
3- التشاكل والتشابه في الحروف والمقاطع.
4- غالباً يتم مقارنتها بالقافية في الشعر والسجع في النثر ليتضح دورها.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة نجد أنها لا تخرج عن تعريفين رئيسين هما:

1- آخر كملة في الآية.
2- آخر كملة في الجملة.

ولعل الباحث يميل إلى رأي ذكره الباحث محمد العف في رسالته: المناسبة بين الفاصلة القرآنية حيث يرى أن الفاصلة هي "آخر جملة في الآية", والسبب أن الآية الواحدة قد تشتمل على عدة جمل, وليست كلمة آخر الآية فاصلة لها, بل الفاصلة آخر جملة في الآية ليعرف بعدها

بدء الآية الجديدة بتمام الآية السابقة لها, والرأي يقرب من الأول. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها, ص38)

أهمية الفاصلة:

يتضح بجلاء دور الفاصلة في الإعجاز القرآني, وذلك بتنوع استعمالاتها إذ لو حذفت لاختل المعنى في الآية, ولو سكت عينها لا ستطاع القارئ والسامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الرفيع والذوق السليم.

قال الزركشي – رحمه الله - :

(وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها, وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام, وتسمى فواصل, لأنه ينفصل عندها الكلامان). (الزركشي, البرهان, جـ54/1 – وأنظر التعبير القرآني ص217-251)

فتبرز أهمية الفاصلة – كما نرى ذلك عند الزركشي – في دور تحسين الكلام وإيصال الخطاب لذهن السامع دون كلفة وعناء, وهذا ما يميز القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر.

ويمكننا إجمال أهمية الفاصلة فيما يلي:

1- دورها في كشف جماليات الأداء الصوتي الذي تتميز به تلاوة القرآن الكريم.
2- الفاصلة بقيمتها الإيقاعية والموسيقية تلعب دور المفتاح في اللحن الموسيقي, ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقية, إلا لتقريب المثال, فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السورة الواحدة بيسر وسهولة. (محمد الجاجي, النسق القرآني دراسة أسلوبية ص86)
3- يحتاج لمعرفة الفواصل لصحة الصلاة, فقد قال الفقهاء: فيمن لم يحفظ الفاتحة يأتي بدلها بسبع آيات, فمن لم يكن عالماً بالفواصل لا يمكنه أن يأتي بما يصحح صلاته. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص40 – وأنظر إبراهيم رفيدة, النحو وكتب التفسير, ص9-14 – وأنظر الجرجاني, دلائل الإعجاز ص250)
4- يحتاج لمعرفة الفواصل للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات أو تعلمها.
5- تتضمن إشارات من حكم الله البالغة, وكثيراً ما تقرن وتربط العبد باسماء ربه تبارك وتعالى, وصفاته (حكيم عليم), (سميع بصير) , (على كل شيء قدير) وهكذا.
6- الفاصلة وجه من وجوه الإعجاز التي يقع بها إحكام بناء الآية شكلاً ومضموناً مبنىً ومعنى.

فأما لفظاً ومبنى فإن ذلك واضح في جودة القرآن وسبكه وحسن نظمه, فقد أخذ بمجامع قلوب أعدائه قبل أوليائه حتى قال قائلهم (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

وأما معنى ومضموناً فلارتباط المعاني في فواصل الآيات واقترانها وهذا ما نلحظه في عدد من الأمثلة ومنها:

أ. لما سمع الأعرابي قارئاً يقرأ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة:38), ختمها القارئ بـ (غَفُورٍ رَّحِيم) فقال الأعرابي: مع أنه لم يسمع الآية من قبل: ليست التلاوة كذلك فتنبه القارئ فقال (وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال الإعرابي: بخ بخ عز فحكم فقطع.
ب. قال تعالى: (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) (الكهف:51), جاءت فاصلة الآية مفردة (عَضُداً) مع أن سياق الآية يتحدث عن الجمع, وذلك ليتناسب فواصل الآيات التي قبلها وهي "موعداً, أحداً, بدلاً" فهي الأليق من حيث الالتحام مع سائر الفواصل, وكذلك من حيث المعنى لآن المضلين جميعاً هم من الهوان والذل بموضع يستغني الله

عن معونتهم فواحدهم فيه كجميعهم. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص39-40)

ج. (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (الضحى:3)
تقول عائشة بنت الشاطئ: (فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي وإنما الحذف جاء لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل, ... ثم تفسر هذا الحذف بما يقتضيه الخطاب القرآني من حساسية معنوية بالغة الدقة في اللطف والإيناس؛ هي تحاشي خطابه صلى الله عليه وسلم في مقام الإيناس: ما قلاك لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض, أما التوديع فلا شيء فيه مثل ذلك). (عائشة بنت الشاطء, التفسير البياني للقرآن الكريم 35/1)

د. من سورة الشمس (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (الشمس:14)
الآية الأخيرة تمثل نهايتها دمدمة عظيمة ناسبت مع ما وقع لهم من عذاب على سوء أفعالهم, هذه الشدة نجدها في حروف الكلمات الدال, ثم الميم ثم توالي الميمان في عليهم, ربهم, بذنبهم, ثم الإقلاب, مما يشعر بثقل وجرم ما وقعوا فيه لثقل اللفظ على النفس والسمع الموحي بشدة ما وقع إليه مآلهم. (كمال الدين المرسي, فواصل الآيات القرآنية ص44)

تبين من الأمثلة السابقة دور الفاصلة وأهميتها في رعاية المناسبة التي اقتضتها لفظاً وصوتاً مع الاعتبار للمعنى وأهميته في الدلالة الصريحة المأخوذة من اللفظ.

طرق معرفة الفاصلة:

لمعرفة الفاصلة في القرآن الكريم طريقان:

1- توقيفي.
2- قياسي.

أولاً: التوقيفي:

وهو ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحديد رؤوس الآي في السور.

ومما يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها: لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: (كان يقطع قراءته آية آية. وقرأت: (بسم الله الرحمن الرحيم) إلى (الذين) تقف على كل آية.

ومما يدل أيضاً ما رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من الـ "حم" يعني الأحقاف, قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين)

وهذا يدل على أن إحصاء الآيات كان معهوداً زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الفاتحة أنها سبع آيات, والملك ثلاثين آية.

وعليه:

فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة, وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة, وما وقف عليه مرة ووصلة مرة أخرى أحتمل الوقف عليه:

1- أن يكون لتعريف الفاصلة.
2- لتعريف الوقف التام.
3- للاستراحة.

وأحتمل الوصل له:

1- أن يكون غير فاصلة.
2- أو فاصلة ووصلها. (السيوطي, الإتقان 290/3)

ثانياً: القياسي:

(وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص عليه بالمنصوص لمناسب). (السيوطي, الاتقان في علوم القرآن 291/3)

يقول الزركشي: (ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان, وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل, والوقف على كل كلمة جائز, فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه). (الزركشي, البرهان في علوم القرآن, جـ98/1)

وقد ذكر العلماء بعض الطرق لمعرفة الفواصل منها:

1- **مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولاً وقصراً:**

وذلك مثل إجماع العلماء أن (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) في قوله تعالى (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) (طه:111) ليست فاصلة, مع أنهم عدوها فاصلة في أول سورة آل عمران, والسبب عدم مساواتها لما قبلها (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) ولا لما بعدها (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً).

2- **مشاكلة الفاصلة لآيات السورة في الحرف الأخير أو ما قبله:**

مثاله قوله تعالى (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً)(النساء:133), فالعلماء لم يعدوا (وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) فاصلة لعدم تشاكل طرفها مع طرف الآية التي قبلها, وهي قوله تعالى (وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) (النساء:132), وإنما عدوا قوله تعالى (وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً) فاصلة لتشاكل الطرفين.

3- **انقطاع الكلام:**

وهو أن كل كلمة مشتملة على حرف المد وقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مد وصلح كل منهما لأن يكون فاصلة, فالفاصلة هي الكلمة الثانية كما في (عليم حكيم), (عليم حليم) وهكذا.

والأولى عدم فتح باب القياس على مصراعيه, فإن طريق معرفة رؤوس الآيات إنما هو نقل الصحابة رضوان الله عليهم لما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قد ينتقض القول بالقياس في أحيان كثيرة مثلاً:

- أن القياس في فواصل الآيات لا يخضع لقاعدة واحدة:
عد العلماء بعض الحروف المقطعة التي تفتتح بها السور آيات وفواصل مثل (آلم, آلمص, كهيعص, عسق, حم, يس, طه, طسم) ولم يعدوا (آلمر, ص, ق, ن, طس) آيات, ولو كان الأمر مبنياً على القياس لكان حكم المثلين واحد.
- أيضاً عد العلماء بعض الآيات مع شدة تعلقها بما بعدها كقوله تعالى (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادا) (النبأ:21), متعلقة بقوله (لِلْطَّاغِينَ مَآبا) (النبأ:22), وقوله (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى)(العلق:9) شديدة التعلق بقوله (عَبْداً إِذَا صَلَّى) (العلق:10) ولو كان عد الآيات يعتمد على القياس لما عدت هذه الآيات منها لتعلقها في المعنى بما بعدها.
- الآيات الطوال لم تجئ إلا في السور الطوال, والآيات القصار لم تجئ إلا في السور القصار, والكل على قدر متساوٍ, ومثل هذا لا يقال به بالقياس بل السماع والتوقيف. (العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص42-43 – البرهان في علوم القرآن, الزركشي, جـ99/1)

ولعل القول بالسماع والتوقيف في معرفة فواصل الآيات هو الأصل, لورود الدليل أولاً عليه, ولما يترتب على القول بمجرد القياس والاجتهاد من افتقار الميزان الدقيق الذي يضبط الجميع ما لم يكن صاحب القياس عالماً بفنون هذا العلم ومداخله وأصوله ويمتلك أدوات القياس لإجراء الحكم وتنزيل الدليل.

المبحث الثاني
خصائص الفاصلة, وأنواعها

خصائص الفاصلة:

يمكننا إجمال خصائص الفاصلة القرآنية فيما يلي:

1- اطراد الفاصلة:

ونعني به تواليها باستمرار, فلا يوجد في القرآن الكريم آية بدون فاصلة.

2- اعتماد الفتحة على روي الفاصلة التي تليها الألف:

وقد جاء هذا كثيراً في القرآن الكريم وفي الوقت نفسه جاءت مستساغة مقبولة من مثل (بصيراً, عليماً, حكيماً).

3- تنوع الفاصلة وتغيرها أو تماثلها:

مما يحقق عنصر الإثارة والتشويق ويساهم في تطوير أسلوب التعبير, ولم يخضع لقالب الرقابة الممل.

4- انسجام أداء الفاصلة الصوتي مع المعنى:

وهذا الذي ميزها عن قافية الشعر, والسجع في النثر أنها لا يغني غيرها عنها, وقد سبق الحديث عن علاقة الفاصلة بالمعنى وضربنا بعض الأمثلة.

5- شيوع نظام الفواصل المبني على حرف النون والميم, المسبوقتين بياء أو واو, والوقوف عليهما بالسكون.

6- تنوع مقاطع الفاصلة في السورة حسب السياق والموضوع:

كما يظهر واضحاً في سورة الضحى التي تنوعت فيها الفواصل لتحمل دلالة في السياق لكل فاصلة.

7- جاءت الفواصل على نظام المقاطع:

مقطع تأتي فيه الفاصلة على أداء صوتي معين, ثم يتغير الموضوع فتتغير الفاصلة.

لنتأمل مثلاً سورة مريم في قوله تعالى: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً) (مريم:3-4), كلها ياءات مشددة وألف, وبعد أن عرض قصة عيسى عليه السلام أراد القرآن أن يحول الموضوع إلى إثبات الإلوهية وإثبات بشرية عيسى عليه السلام فانتهى من أسلوب القصص وتحول إلى أسلوب الحكم فاقتضى هذا التحول تحولاً في الفاصلة فجاء قوله تعالى: (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم:34-35).

وهذا ما سنعود إليه بشيء من التطبيق والتفصيل عند الحديث بإذن الله تعالى على تطبيقات للفاصلة في سورة مريم.

8- نظم أخرى:

فقد بدت نظم أخرى في الفاصلة كالتكرار والتعقيب وغيرها (د.محمد الجاجي, الأدب الإسلامي ص59), وهذه زادت من تنوع الظواهر التعبيرية في الفاصلة وفقاً لتعدد الأغراض. وسيأتي مزيد بيان عن هذه النظم وغيرها من أسرار الإعجاز في الفواصل لاحقاً.

أنواع الفواصل في القرآن الكريم:

يمكن بيان أنواع الفواصل في القرآن الكريم بعدد من الاعتبارات:

أولاً: باعتبار الوقف والإطلاق (د. محمد الجاجي, النسق القرآني دراسة أسلوبية ص89)**:**

1- الفاصلة المطلقة: الوقوف فيها يكون بإطلاق الحركة ومدها, مثل الوقوف على الألف المفتوح ما قبلها فإذا وصلت صارت تنويناً بالنصب كما في (ضجاً), (قدحاً)....

2- **الفاصلة الموقوف عليها:** مبنى الفاصلة جاء مرتكزاً عليها في غالب القرآن ولذلك شاع فيها مقابلة المرفوع بالمجرور والعكس وأشهرها ما كان على النون المردوفة بواو أو ياء (يعملون, تشربون)...

ثانياً: باعتبار حرف الروي:

1- **الفاصلة المتماثلة:** وتسمى "المتجانسة" أو ذات "المناسبة التامة" وهي التي تماثلت حروف رويِّها مثل:
قوله تعالى:(وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ*فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ)(الطور:1-3)
قوله تعالى:(فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) (الانشقاق:16-17)
هذا وقد استقلت الفواصل المتماثلة بأحد عشر سورة من سور المفصَّل هي: (القمر والمنافقون والشمس والأعلى والليل والقدر والعصر والفيل والكوثر والإخلاص والناس) (الحسناوي, الفاصلة في القرآن ص147)

2- **الفواصل المتقاربة:** وتسمى ذات المناسبة غير التامَّة, وهي التي تقاربت حروف رويِّها كتقارب الميم والنون في مثل (الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)(الفاتحة:3-4)

3- **الفواصل المفردة:** وهي التي لم تتماثل حروف رويِّها ولم تتقارب كفواصل سورة الضحى في ختامها (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى:9-11)

ثالثاً: باعتبار الوزن:

1- **المتوازي:** وهو أن تتفق الفاصلتان الأخيرتان في الوزن والروي كقوله تعالى (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ* وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) (الغاشية:13-14), اتفقت الفاصلتان (مَّرْفُوعَةٌ) و (مَّوْضُوعَةٌ) في وزنهما وحرف رويِّهما.

2- **المطرف:** وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقان في حرف الروي كقوله تعالى: (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارا) (نوح:13-14), اختلفت الفاصلتان (وَقَاراً) و(أَطْوَارا) في الوزن, بينما اتفقتا في حرف الروي.

3- **المتوازن:** وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن فقط كقوله تعالى: (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ{15} وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) (الغاشية: 15-16), حيث اتفقت الفاصلتان في الوزن (مَصْفُوفَةٌ) و (مَبْثُوثَةٌ) واختلفت في حروف الروي فيهما.

4- **المرصَّع:** أن تتفق الفاصلتان في الوزن والتقفية وتكون الفاصلة المتقدمة مقابلة للفاصلة المتأخرة كقولة تعالى: (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)(الانفطار:13-14), فالفاصلة الأولى والثانية (نَعِيمٍ) و (جَحِيمٍ) تتفقان وزناً وتقفية مع التقابل بينهما.

5- **المتماثل:** وهو أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية ويكون ما في الأولى مقابل لما في الثانية كقولة تعالى: (وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الصافات:117-118) (فالكتاب, والصراط), يتوازنان وكذا (الْمُسْتَبِينَ) و (الْمُسْتَقِيمَ) واختلفا في الحرف الأخير.

رابعاً: بحسب طول الفقرة:

1- **قصيرة موجزة:** مثل (آلم, الرحمن, الحاقة).

2- **متوسطة معجزة:** مثل (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (النجم:1-2).

3- **طويلة مفصحة:** مثل (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)(الأنفال:43).

خامساً: بحسب القرينة:

1- **قرائن متساوية في عدد الكلمات:** مثل قولة تعالى (أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ*فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ* وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)(الواقعة:27-30).

2- **قرائن مختلفة الطول والقصر:** مثل قولة تعالى (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) (الحاقة:30-32).

سادساً: بحسب مقدارها في الآية:

1- **من الفواصل ما هو أية كاملة** مثل: (آلم, حم, الحاقة).

2- **ومنها ما كان جزءً من آية لا تقوم الآية إلا به** كقوله تعالى(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) (النجم:1)

3- **ومنها ما كان تعقيباً على الآية أو تلخيصاً لمضمونها:** مثل قوله تعالى (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً)(الأحزاب:25).

سابعاً: بحسب تفرعاتها الداخلية:

1- **فاصلة أخيرة ووحيدة:** كما مر معنا فيما سبق.

2- **فاصلة داخلية متقاربة:** كقولة تعالى (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (الزخرف:61), كقولة تعالى (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ) (الأنعام:70), حيث نلحظ في قوله تعالى (وَاتَّبِعُونِ), (أَلِيمٌ) أنهما يصلحان أن تكونا فاصلتين ولكنهما جاءتا بمثابة فواصل داخلية متقاربة من ختام فاصلة الآية كما هي عليه.

3- **فواصل داخلية متباعدة:**كقولة تعالى (اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة98), وكقوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام165).

ثامناً: باعتبار التكرار واللزوم:

1- **تكرار حركة واحدة في روي الفواصل وإن اختلفت الحروف:** كاطراد حركة الفتح على الروي في سور الكهف والفتح والجن والطلاق والإنسان... وغيرها.

2- **تكرار روي واحد وإن اختلفت حركاته:** كما في السور الإحدى عشر التي تمت الإشارة إليها في النوع الثاني من أنواع الفواصل (باعتبار حرف الروي).

3- **التزام حروف أخرى غير الروي في بعض الفواصل فيما يسمى لزوم ما لا يلزم:** كما في الشرح (صدرك, وزرك, ظهرك), وفي التكوير (الخنس) و (الكنس). (د. محمد الجاجي, النسق القرآني دراسة أسلوبية ص89-92 – محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص44-46 – السيوطي, الإتقان في علوم القرآن 311/3 – السيوطي, التحبير في علم التفسير ص500 – محمد الحسناوي, الفاصلة في القرآن ص147-148)

المبحث الثالث
أسرار الإعجاز في الفواصل وعلاقاتها

من أسرار الإعجاز في الفواصل:

1- المزاوجة بين الفواصل:

كما في الأمثلة التالية:

قال تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) (الشرح:7-8).

قال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (الضحى:9-10).

قال تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) (النجم:43-44).

وقد ذهب الدكتور كمال الدين المرسي في كتابه فواصل الآيات القرآنية رأياً يخالف به المتقدمين في معنى المزاوجة فقال: (والذي أراه أن المزاوجة التي يقصدها – يريد أبا هلال العسكري – هي اتفاق فاصلتين أو أكثر في الحرف الأخير أو الحرفين الأخيرين) (كمال الدين المرسي, فواصل الآيات القرآنية, ص54), وهو بهذا يخالف من قال بأن المزاوجة ما تزاوج فيها بين معنيين في الشرط والجزاء.

2- تناسب الفواصل:

حيث نجد في كل ما جعله من فواصل الآيات يختم الكلام بما يتناسب مع أوله في المعنى ومن أمثلته:

قوله تعالى: (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:103), فختام الآية بـ) اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) يتناسب مع أولها وما فيها من إدراك وعلم وإحاطة لإتمام ختام الآية.

قوله تعالى (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (الحج:64), فالذي يملك ما في السموات وما في الأرض غني عما سواه يستحق الحمد والثناء.

ومما يشهد لهذا ما ورد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ) (القمر:13-14), فقرأها القارئ بفتح الكاف, فقال الأعرابي: لا يكون, فلما قرأها بضم الكاف وكسر الفاء, قال الأعرابي يكون.

وقد يكون التناسب بين الفاصلة ومطلع الآية رقيقاً لا يدركه إلا من له تأمل وطول نظر على نحو ما نرى في قوله تعالى (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(المائدة118), فالذي يقرأ يظن بأن الفاصلة (الغفور الرحيم), ولكنها عند التأمل وإمعان النظر يرى أنه لا يقدر على التعذيب والمغفرة للعباد إلا من كان عزيزاً في قدره حكيماً في حكمه وعلمه.

3- التمهيد للفواصل بألفاظ تمهد لوقوعها:

وهو ما يسميه أهل البلاغة رد الأعجاز على الصدور, وهو هنا على ثلاثة أقسام:

أ. توافق آخر الفاصلة, وآخر كلمة في صور ما قبلها:

مثل قوله تعالى (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ) (البقرة:16).

وكقوله تعالى (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً) (النساء:166).

ب. توافق الفاصلة, وبعض كلمات الصدر في الوسط مثل:

قوله تعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (الأنعام:10).

وقوله تعالى (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) (الإسراء:21).

ج. توافق الفاصلة وأول كلمة في صدر ما قبلها من مثل:
قوله تعالى (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رحمه إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) (آل عمران:8).
قوله تعالى (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ) (الشعراء:168).

4- تكرير الفواصل في بعض السور:
نحو قوله تعالى (فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في سورة الرحمن
وقوله تعالى (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) في سورة المرسلات.

5- الربط الفني في الفواصل:
فقد التزمت جميع الآيات نسقاً عجيباً وهو الربط بين الألفاظ والمعاني بشكل فني جميل ورائع لم يوجد إلا في كلام الله تبارك وتعالى ومن أمثلته:
زيادة حرف كهاء السكت في قوله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ* نَارٌ حَامِيَةٌ) (القارعة:8-11).
تكرار بعض الحروف لغرض الملائمة: كما كررت (لعل) في قوله تعالى (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) (يوسف:46).
الحذف: كما حذفت الياء في قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) (الفجر:4).
الجمع بين المجرورات كما في قوله تعالى (ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً) (الإسراء:69).
تأخير ما أصله أن يتقدم كما في قوله تعالى (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى) (طه:67).
العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال كما في قوله تعالى (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) (البقرة:87), وهو ما يسمى في البلاغة بالالتفات.

علاقات الفواصل:

تتخذ هذه العلاقات ثلاثة مستويات متكاملة تتأثر الفاصلة بها وتؤثر فيها وهي:
1- علاقة الفاصلة بسياق الآية.
2- علاقة الفاصلة بالمقطع داخل السورة.
3- علاقة الفاصلة بالسورة كاملة.

أولاً: علاقة الفاصلة بسياق الآية:

الفاصلة في بعض وظائفها تلخص معنى الآية, وهي إيضاح وتعقيب في أحيان أخرى, وتأخذ علاقة الفاصلة بسياق الآية مستويين: مستوى صوتي إيقاعي يدخل في نسيج التركيب فيقويه, ومستوى معنوي يفيد في إحكام الترابط بين أجزاء الآية.
وتستوقفنا عدد من الظواهر في هذه العلاقة ومنها:

1- ظاهر التعقيب:
ونقصد به أن تأتي الآية بحكم, وقد تنتهي الفكرة أو الحكم في جزء من الآية ويأتي باقي الآية تعقيباً على هذا الحكم لتأكيده وتثبيته, فنقرأ مثلاً قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة:37), وقوله تعالى(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) (البقرة:175).
وقوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) (البقرة:214).

2- القرينة:
هي الجملة التي تسبق جملة الفاصلة, أو تليها مباشرة, ويتحقق مقصود الآية من خلال الائتلاف بين الفاصلة وقرينتها.
وقد حصر السيوطي – رحمه الله – هذه القرائن بأربع نقلاً عن ابن أبي الإصبع كما نص على ذلك في كتابه الإتقان. (السيوطي, الإتقان ص302)

أ. **التمكين:** أن يمهد للقرينة قبل الفاصلة تمهيد تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها, ومن أمثلته:
قوله تعالى (يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود:67).
قال السيوطي:
(فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبارة, وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبارات والرشد يناسب الأموال). (الإتقان في علوم القرآن ص302)
وقوله تعالى (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)(السجدة:26-27).
قال السيوطي:
(فأتى في الآية الأولى "يهد لهم" وختمها بـ"يسمعون" لأن الموعظة فيها مسموعة, وهي أخبار القرون, وفي الثانية بـ"يروا" وختمها بـ"يبصرون" لأنها مرتبة). (الإتقان في علوم القرآن 302/3)

ب. **التصدير:**
وهو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية, ويسمى رد الأعجاز على الصدور, وقد سبق بيانه في الحديث عن أسرار الإعجاز في الفواصل.

ج. **التوشيح:**
(ما عُلمت فيه الفاصلة قبل ذكرها). (الزركشي, البرهان في علوم القرآن, جـ95/1)
كقوله تعالى (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(آل عمران:33), فإن أصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة, إذ المذكورين نوع من جنس العالمين.
وقوله تعالى (وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) (يس:37).
قال الدكتور الحسناوي: -ناقلاً النص عن السيوطي-
(فإنه من كان حافظاً لهذه السورة متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردوفة, وسمع في صور هذه الآية: (وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) علم أن الفاصلة " مُّظْلِمُونَ " فإن من أنسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال). (الفاصلة في القرآن ص291)

د. **الإيغال:**
وقد سمي بذلك لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه, وبلغ إلى زيادة على الحد, كقوله تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50), فإن الكلام تم بقوله: ومن أحسن من الله حكماً ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى, فلما أتى بها أفاد معنى زائداً, ومثله كذلك قوله تبارك وتعالى (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (النمل:80), فالمعنى قد تم بقوله (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء) ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ). (د. الحسناوي, الفاصلة في القرآن ص293)

ثانياً: علاقة الفاصلة بالمقطع:

وتبدو هذه العلاقة في الظواهر التالية:
1- قد ترد الفواصل في مقطع داخل السورة ثم تعود بعد مقطع أو أكثر.
2- مجيئها على مقاطع كل مقطع له فواصل متماثلة تختلف عن فواصل المقطع الآخر.
3- قد تأتي المقاطع متقاربة الطول وقد تأتي غير متقاربة.

4- هناك تغير في الفاصلة على غير نظام المقطع وإنما ترد الفاصلة والأخرى مختلفة عما حولها تماماً.
5- قد يكون التغير بسيطاً بتوالي المقاطع وهو الغالب, وقد يكون مركباً يعود فيه التوالي إلى روي سابق وهو الأقل. (د. الجاجي, النسق القرآني دراسة أسلوبية ص100)

ويمكن أن نلحظ هذه العلاقة بجلاء ووضوح في مقاطع سورة مريم, فمقاطع الفواصل تغيرت من الياء المشددة والألف في الحديث عن زكريا وعيسى عليهم السلام إلى النون والميم عندما توجه السايق إلى موضوع يتعلق بهم لكن من زاوية أخرى فيها إنكار وجحود بقوله تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) (مريم:34).

قال سيد – رحمه الله – : ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض ويقتضي إيقاعاً رصيناً بدل إيقاع القصة المتسلسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير ... ذلك أنه بمجرد الانتهاء من إصدار الحكم وإلغاء ذلك القرار عاد إلى النظام الأول في الفاصلة لأنه عاد إلى قص جديد). (التصوير الفني في القرآن ص109)

ثالثاً: علاقة الفاصلة بالسورة: وأبرز ظواهرها:

1- علاقة فواتح السور صوتاً وأداء بموضوع السورة.
2- علاقة خواتيم السور صوتاً وأداء بموضوع السورة, وهو ما يسمى بالقفل أو الختام, وهذا القفل يأخذ أشكالاً منها:

- القفلة المفتوحة: كقوله تعالى (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى) (القيامة:40) وقوله تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (التين:8)
وضابطها كل ما أثار تساؤلاً واحتاج القارئ بعدها من إجابة عن سؤال.
- القفلة المتماثلة: فاصلة أخيرة جاءت على روي مشابه لما سبقها كما مر في السور الإحدى عشر متماثلة الفاصلة.
- القفلة المغايرة: كما في أواخر سورة الضحى. (د. الجاجي, النسق القرآني ص102)

الفصل الثاني
الفاصلة في سورة مريم دراسة تطبيقية

المبحث الأول: بين يدي السورة

تسمية السورة وترتيبها ومناسبتها لما قبلها

موضوعات السورة ومقاصدها

المبحث الثاني: مناسبة الفواصل لآياتها دراسة تطبيقية

مناسبة الفواصل لآياتها من حيث السياق

من بدائع فواصل سورة مريم

المبحث الأول
بين يدي سورة مريم

تسمية السورة وترتيبها ومناسبتها لما قبلها:

أولاً: تسمية السورة:

ورد اسمها في المصاحف وكتب التفاسير بـ"سورة مريم"

قال الصابوني:

وقد سميت بهذا الاسم لأنها بسطت فيها قصة مريم وابنها فجاء هذا الاسم تخليداً لتلك المعجزة الباهرة في خلق إنسان بلا أب, ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد, وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد المسيح عليه السلام). (صفوة التفاسير)

وسماها ابن عباس رضي الله عنه بسورة (كهيعص) نسبة إلى فاتحتها التي تبدأ بهذه الحروف. (العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية ص63 – الشوكاني, فتح القدير, 320/3)

ثانياً: نزولها وترتيبها:

تعد السورة الرابعة والأربعين في ترتيب النزول, فقد نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه, وأما ترتيبها في المصحف فهي السورة التاسعة عشرة, نزلت بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة وقبل الإسراء بمعنى ما بين السنة السابعة والحادية عشرة للبعثة, وهي سورة مكية على رأي جمهور العلماء إلا آيتين منها, أية السجدة – قولة تعالى – (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً) (مريم:58), فقد ذهب مقاتل إلى أنها مدنية, وآية (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً) (مريم:71), ذكر السيوطي أنها مدنية. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة القرآنية ص63)

ثالثاً: وجه مناسبتها لما قبلها:

قال أبو حيان في البحر المحيط: (إنه سبحانه وتعالى ضمَّن سورة الكهف التي قبلها قصصاً عجباً كقصة أهل الكهف وقصة موسى عليه السلام مع الخضر, وذي القرنين, وهذه السورة تضمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى عليه السلام من شيخ فانٍ وعجوز عاقر وولادة عيسى عليه السلام من غير أب, فلما اجتمعتا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك.

موضوعات السورة ومقاصدها:

المتأمل في سياق السورة يجدها تدور حول محور التوحيد وإقراره, والرد على المشركين ودعاواهم, وإن كان تعدد في السورة الأسلوب الذي عرض الله به هذا الهدف من قصة زكريا ويحيى إلى قصة مريم ومولد عيسى عليه السلام ثم تغير في نمط الفاصلة ثم أطراف من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.... وهكذا يقول سيد قطب في بيان ذلك:

(يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد ونفي الولد والشريك ويلم بقضيته البعث القائمة على قضية التوحيد.. هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة كالشأن في السور المكية غالباً, والقصص هو مادة السورة فهي تبدأ بقصة زكريا... ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة ويستهدف إثبات الوحدانية والبعث ونفي الولد والشريك وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين, ومن ثم بعض مشاهد القيامة, وبعض الجدل مع المنكرين للبعث... وللسورة كلها جو خاص يظلها ويشيع فيها ويتمشى مع موضوعاتها). (في ظلال القرآن, 2299/4)

ويمكن القول أن السورة اشتملت على الموضوعات والمحاور التالية:

1- كرامة الله لزكريا عليه السلام بما رزقه من ولد على الكبر وعقر امرأته, قال تعالى (ذِكْرُ رحمه رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً) (مريم:2-5).

قال سيد: (ذلك دعاء زكريا لربه في ضراعة وخفية والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء ثم ترسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى فالرب ينادي عبده من الملأ الأعلى (يا زكريا) ويعجل له البشرى (إنا نبشرك بغلام) ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذي بشره به (اسمه يحيى) وهو اسم فذ غير مسبوق (لم نجعل له من قبل سميا). (في ظلال القرآن, 2302/4)

2- بيان صفات يحيى عليه السلام: وهي القوة في الدين والحكمة في الصبا والحنان والتقى (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً* وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً) (مريم:12-14).

يعود سيد فيصور هذا المحور بقوله: (فهذه هي المؤهلات التي زوده الله بها وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه, آتاه الحكمة صبياً وكان فذاً في زاده, كما كان فذاً في اسمه وميلاده, فالحكمة تأتي متأخرة لكن يحيى زود بها صبياً ... وآتاه الحنان هبة لديه لا يتكلفه ولا يتعلمه وإنما هو مطبوع عليه ومطبوع به ... وآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب). (في ظلال القرآن, 2304/4)

3- كرامة مريم بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها: بقوله تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً) (مريم:16-18).

4- الإرهاصات التي مهدت لنبوة عيسى عليه السلام من خلال كلامه بالمهد, قال تعالى (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (مريم29-32).

5- إبطال دعوى النصارى: باتخاذ عيسى عليه السلام ولداً لله تعالى وفي ذلك يقول تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ* مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم:34-35).

قال سيد قطب – رحمه الله – :

(وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله, فليس هو ابنه كما تدعي فرقة, ليس هو إلهاً كما تدعي فرقة, وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة). (في ظلال القرآن, 2308/4)

6- عرض قصة إبراهيم عليه السلام مع أبية آزر.

7- تنزيه رسل الله الكرام والثناء والحسن عليهم: إسحاق, يعقوب, موسى, هارون, إسماعيل, إدريس, نوح, وكل هذا الثناء إثبات لوحدانية الله تعالى.

8- الرد على إنكار المشركين للبعث (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً* وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً) (مريم:65-66).

9- التشنيع على المشركين المغترين بآلهتهم من الأصنام والأوثان من دون الله قال تعالى (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً) (مريم81-82).

10- التفرقة بين حشر المتقين إلى دار الخلود والنعيم والكرامة, وحشر المجرمين إلى دار الخزي والمهانة قال تعالى (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً* لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً) (مريم:85-87).

قال سيد: (فأما المؤمنون فمجموعون وفداً إلى الرحمن وأما المجرمون فذاهبون ورداً إلى جهنم فأما الوفد فسيلقى الرحمن يستقبل بره وغيثه, أما الورد فمستورد جهنم يستقبل اللظى والأوار لا يملكون لأنفسهم شفاعة فلا شفعة يومئذ إلا لمن قدم عمل صالحاً معهوداً عند الله ومعروفا). (مشاهد القيامة في القرآن ص120)

11- التشنيع والتبشيع على من أدعى أن لله ولداً فقال تعالى(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً* أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً* وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً* إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً)(مريم:88-95).

12- إنزال القرآن الكريم بلسان عربي مبين مبشراً للمتقين ومنذراً للعاصين والمجرمين, وهذا ما تمثل في قوله تعالى (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً)(مريم:97).

المبحث الثاني
مناسبة الفواصل لآياتها
دراسة تطبيقية على آيات من سورة مريم

مناسبة الفواصل لآياتها من حيث السياق:

عند النظر في فواصل سورة مريم نجد أنها أتت على أحوال عدة:

1- معظم فواصلها تتماثل بالياء والألف المدية الدالة على السهولة واليسر والسلاسة التي تغمر أجزاء ومقاطع هذه السورة بما يتناسب مع معاني السورة التي تدور حول فضل الله تعالى على مريم وابنها المسيح عليه السلام.

2- المواضيع التي تقتضي الشدة والعنف وفيها جو من العناد والاستكبار جاءت فيه الفاصلة على حرف الدال كما في "إذًا, هَّدا, ضَّدا" أو حرف الزاي "هزا, عزا, أزا".

3- تتنوع الفاصلة فيما عدا ما سبق بحسب التنوع في السياق والطرح, ويمكن أن نستعرض نماذج تطبيقية على بعض المقاطع في السورة من حيث العلاقة بين الفاصلة والآيات من حيث السياق مدعمين ذلك بكلام العلماء والمفسرين ومن عنوا بهذه المسألة شرحاً وتوضيحاً.

قال تعالى (كهيعص* ذِكْرُ رحمه رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً)(مريم:1-6).

تتماثل فواصل هذه الآيات بالياء والألف المدية والتي تحمل جواً من اليسر والسلاسة تتابعاً مع جو فيض الله تعالى ونعمه على عبده زكريا بأن رزقه مع كبره ومع كون امرأته عاقراً رزقه بمولوده "يحيى".

قال سيد قطب – رحمه الله – :

(أما الانفعالات في النفس البشرية فتبدأ مع مفتتح السورة وتنتهي مع ختامها, والقصص الرئيسي فيها حافل بهذه الانفعالات في مواقفه العنيفة العميقة ... والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة و الرضى والاتصال ... وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطقها فطرته). (في ظلال القرآن 2300/4)

وقال في موضع آخر:

(كذلك تحس أن للسورة إيقاعاً موسيقياً خاصاً, بمجيء جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق: رضيا, سريا, خفيا, نجيا وأما المواضع التي تقتضي الشد والعنف فتجيء الفاصلة فيها مشددة مدا, ضدا, أدا, هدا .... وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جلياً في هذه السورة). (في ظلال القرآن 2300/4)

ويقول في كتابه التصوير الفني في القرآن: (وأما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة, فقد لاحظنا في مرات كثيرة أن الفاصلة والقافية لا تتغيران لمجرد التنويع ... فمن المواضع التي لاحظنا فيها أن تغير نظام الفاصلة والقافية يعني شيئاً خاصاً ما جاء في سورة مريم فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى وتليها قصة مريم وعيسى وتسير الفاصلة هكذا).

وبالرجوع إلى الآيات السابقات والتأمل في فواصلها, نجد (زكريا) ختام الآية الثانية, والتي بدأت بذكر امتنان الله ورحمته التي ظللت عبده زكريا فجاءت الفاصلة لتبين هذه المزية من أنه نادى ربه واجتهد بالدعاء الخاص فرحمه بهذه المزية والمنقبة.

وفي قوله تعالى (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً) (مريم:3).

(لما أظهرت الآية دعاء زكريا لربه تعالى جاءت فاصلتها (خفياً) بوصف الدعاء لأنه أقرب إلى الإخلاص, وجاءت الفاصلة تصويراً للآية (نادى ربه) وهي مناسبة من باب أن النداء الخفي يكون يه سلوى واطمئنان وأقرب إلى الإخلاص). (محمد العف, الفاصلة القرآنية ص74)

وفيما بعدها, لما قدم زكريا عليه السلام قبل سؤاله أموراً تستحق الشفقة من كبر السن, وزوجته عاقر وغيرها جاءت الفاصلة (هب لي من لدنك وليا) بالطلب والدعاء, قدم العلة قبل الطلب رجاء الإجابة.

قال سيد قطب:

(إنه يناجي ربه بعيداً عن عيون الناس, بعيداً عن اسماعهم في عزلة يخلص فيها لربه ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره ويناديه في قرب واتصال (رب) ... فإذا صور حاله وقدم رجاءه ذكر ما يخشاه وعرض ما يطلبه ... ذلك دعاء زكريا لربه في ضراعة وخفية والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء). (في ظلال القرآن 2302/4)

ولنتأمل كذلك في قوله تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً* فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً* فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً) (مريم:16-23).

اهتمت السورة بقصة مريم وابنها عيسى عليه السلام بل مثلت محوراً هاماً من محاور الحديث في هذه السورة.

يقول سيد:

(فها هي ذي في خلوتها مطمئنة إلى انفرادها يسيطر على وجدانها ما يسيطر على الفتاة ولكن ها هي ذي مفاجأة عنيفة تنقل تصوراتها نقلة بعيدة ولكنها بسبب مما هي فيه).(التصوير الفني في القرآن ص195-196)

ونقل سيد في ثنايا كلامه ما تعرضت له مريم عليها السلام من هزات عنيفة أوصلها إلى الثلاث ناسبت في ختامها فواصل الآيات أن تساق على النحو الذي جيئت به فيقول:

(.... ولئن كنا نعلم أنه الروح الأمين فإنها هي لا تعلم إلا أنه رجل وهنا يتمثل الخيال تلك الفتاة الطيبة البريئة ذات التقاليد العائلية الصالحة, وقد تربت تربية دينية وكفلها زكريا بعد أن نذرت لله جنيناً .. هذه هي الهزة الأولى. ثم ليتمثل الخيال مرة أخرى مقدار الفزع والخجل وهذا الرجل الغريب الذي لم تتق بعد بأنه رسول ربها فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها – يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول وهو أنه يريد أن يهب لها غلاماً وهما في خولة وحدهما .. وهذه هي الهزة الثانية. ثم تدركها شجاعة الأنثى تدافع عن عرضها (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً)(مريم:20). هكذا صراحة وبالألفاظ المكشوفة فهي والرجل في خلوة, والغرض من مباغتته قد صار مكشوفاً فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاماً وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها (إنما أنا رسول ربك) فقد تكون هذه خدعة فاتك فالحياء إذن ليس يجدي والصراحة هنا أولى.

...قال (ثم نجد فجوة من فجوات القصة فجوة فنية كبرى تترك للخيال تصويرها كما يهوى. ثم تمضي القصة في طريقها لنرى العذراء المسكينة في موقف آخر أشد هولاً (فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا...) وهذه هي الهزة الثالثة فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة). (التصوير الفني في القرآن ص196-197)

ثم لننتقل إلى قوله تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ* مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ* وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(مريم:34-37)

تأتي هذه الآيات نهاية قصة عيسى عليه السلام بالتعقيب لتقرير حقيقة مريم عليها السلام وابنها, وللفصل في قضيته ومسألة نبوته, المسألة التي اختلف فيها الجاحدون وأنكروها, وبناء على اختلاف السياق والأسلوب المستخدم في الآيات اختلف نظام الفواصل فطالت الفاصلة وختمت بحرف الميم أو النون المستقر الساكن المغن, وكأنما الآيات تعبر عن حكم بعد نهاية القصة مستمد منها ولهجة تقتضي أسلوباً مغايراً لأسلوب القصص كما تقتضي إيقاعاً رصينا بدل إيقاع القصة المسترسل. (محمد العف, المناسبة بين الفاصلة ص79)

يقول سيد معلقاً على الآيات:

(وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف النون أو الميم وقبلهما مد طويل وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكماً بعد نهاية القصة مستمداً منها, ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعاً قوياً رصينا بدل إيقاع القصة المسترسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير, ونحن نستأنس بهذا الاستنباط بملاحظة أخرى ذلك أنه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار عاد إلى النظام الأول في القافية والفاصلة لأنه عاد إلى قصص جديد). (التصوير الفني في القرآن, ص109)

ولنتأمل كذلك قوله تعالى (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً) (مريم:61-63).

يقول سيد:

صورة للجنة هادئة ساكنة رتيبة (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلا سَلاماً) فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال إنما يسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الحالم الراضي هو صوت السلام والرزق في هذه الجنة مكفول لا يحتاج إلى طلب وكد, فما يليق بهذا الطلب في هذا الجو الراضي (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً). (مشاهد القيامة في القرآن, ص119-120)

وقد جاءت الفاصلة على نحو إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً) لما تصدرت الآية الوعد بدخول الجنة والإقامة فيها للتائبين الذين آمنوا بها ولم يروها لتناسب السياق في أن الجزاء آتٍ لا محالة فهو وعد الله وما كان الله ليخلف وعده.

ولعلنا نقف ختاماً مع قوله تعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً* كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً* وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً* وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً) (مريم:79-82).

جاءت الآيات في ردع وزجر الكافر المعتدي فما ناسب غلظته وجفاءه لردع عتوه وتكبره إلا أن تساق الآيات مع ختامها بخطاب الشدة فجاءت (مدا – عزا ....) زيادة في إظهار الوعيد بمضاعفة العذاب عليه وعدم انقطاعه عنه جزاء طغيانه واستهزائه.

يقول سيد رحمه الله:

(إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو جو الغضب والغيرة والانتفاض وأن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض من سماع تلك الكلمة النابية والمساس بقداسة الله الذات العلية...). (في ظلال القرآن, 2320/4)

وقال في موطن آخر (فالتهديد إذن والوعيد هو اللائق لتأديب الكافرين السافرين (كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً) سنكتب ما يقوله فنصوره ونسجله عليه يوم الحساب فلا ينسى ولا يقبل المغالطة وهو تعبير تصويري للتهديد). (في ظلال القرآن, 2320/4)

وخلاصة القول في مناسبة الفواصل لسورة مريم في السياق:

بعد دراسة فواصل السورة في نماذج مختارة ارتأى الباحث ما تغير فيه نمط الحديث وأسلوب الآيات, تبين واضحاً كما دعم بالأدلة أن الفاصلة متأثرة بالسياق الذي وضعت فيه وسيقف له ولأجل ذلك رأينا فواصل السورة على أقسام:

1- الفاصلة الاعتيادية: والتي عليها جل بناء السورة وهي الياء والألف المدية المناسبة في ذلك لأسلوب القصص التي وردت بها.
2- فواصل إقرار الحكم ولفت الانتباه للخروج بالفائدة المرجوة من القصة وهذه تمثلت بفاصلة النون أو الميم.
3- فواصل مثلت جانب العناء والاستكبار ومقابلة ذلك بالشدة والقوة وهذه تمثلت بقافية وفاصلة الدال, والتي جاءت عندما اشتد السياق بالمشركين والكفار.

من بدائع فواصل سورة مريم:

أولاً: التقديم والتأخير:

لم يعد القول بمراعاة الفواصل أمراً مستساغاً ولا مقبولاً عند كثير من العلماء في جانب التقديم والتأخير, بل لا شك أن هذه الظاهرة ترتبط بالمعنى البلاغي للسياق وهذا ما يظهر في هذه السورة.

فمن أمثلته التي وقعت في هذه السورة:

قولة تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) (مريم:40)

فالتقديم ظاهر لشبه الجملة من الجار والمجرور على الفعل, وهو واضح الدلالة في القصر فلا رجوع إلى غيرنا بل إلى الله تعالى الأمر كله من قبل ومن بعد.

ثانياً: التكرار في الفواصل:

قد تكون هذه الظاهرة معيبة في الشعر العربي لكنها أحسن ما وقعت في كتاب الله تعالى, ونقصد به تكرار اللفظة الواحدة لتأكيد المدح أو الذم أو الوعد أو الوعيد.

ومثاله في الآيات قوله تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً) (مريم:41), كررت نفس الفاصلة عند الحديث عن إدريس عليهم السلام جميعاً.

وذلك لتأكيد مدحهم ووصفهم بالصدق والنبوة تعظيماً من شأنهم ورفعاً لقدرهم عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: الالتفات:

نقل الكلام من أسلوب إلى آخر, وقد جاء في السورة في نقل الكلام من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) (مريم:12), وذلك لبيان رعاية الله واهتمامه بشأن يحيى ولو كان صبيا, وفي ذلك إشارة بنبوته عليه السلام, ومن الالتفات في السورة ما جرى من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) (مريم:88-89), فالضمير عائد إليهم – الكفار – فغضب الله لنفسه وتولى الرد على نفسه بنفسه فجاء بالالتفات قاصداً بذلك إبلاغهم وتوبيخهم.

رابعاً: الإظهار في موضع الإضمار:

أظهرت الآيات بعض الاسماء في موضع الإضمار لقصد الإهانة والتحقير والتبكيت في مثل قوله تعالى (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً) (مريم:44).

أظهره في قوله(إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً) زيادة في التنفير منه والتحذير ليكون أبلغ وآكد.

خامساً: التذييل:

أن يؤتي بجملة عقب جملة, والثانية تشتمل على الأولى لتأكيد منطوقها أو مفهومها.

وقد وقع هذا الأسلوب في مثل قولة تعالى (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)(مريم:36).

تذييل لما قبلها من الأمر بالعبادة والتوحيد. (يراجع محمد العف, المناسبة بين الفاصلة ص99-101)

المراجع

1- القرآن الكريم.
2- ابن منظور, لسان العرب, دار عالم الكتب – السعودية , 1424هـ-2003م.
3- بنت الشاطئ, عائشة, التفسير البياني للقرآن الكريم, دار المعارف, ط7.
4- الجاجي, محمد أديب, الأدب الإسلامي النظرية والنشأة, دار الكتاب الجامعي – صنعاء, ط1, 1428هـ-2007م.
5- الجاجي, محمد أديب, النسق القرآني دراسة أسلوبية, رسالة دكتوراه بجامعة صنعاء – كلية الآداب, 1423هـ- 2002م.
6- الجرجاني, عبدالقاهر, دلائل الإعجاز, دار المعرفة – بيروت – لبان, ط3.
7- الحسناوي, محمد, الفاصلة في القرآن , دار عمار– عمان, ط2, 1421هـ - 2000م.
8- الخطيب, عبدالكريم, إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها, دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت – لبنان, ط2, 1975م.
9- رفيدة, إبراهيم عبدالله, النحو وكتب التفسير, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان, الطبعة الثانية.
10- الزركشي, بدر الدين, البرهان في علوم القرآن, دار عالم الكتب – السعودية, 1424هـ - 2003م.
11- السامرائي, فاضل صالح, التعبير القرآني, دار عمار, ط4, 2006م.
12- سيد قطب, التصوير الفني في القرآن, دار الشروق – القاهرة, ط18, 1427هـ - 2006م.
13- سيد قطب, في ظلال القرآن , دار الشروق – القاهرة , ط36, 1427هـ - 2007م.
14- سيد قطب, مشاهد القيامة في القرآن, دار الشروق, القاهرة, ط16, 1427هـ - 2007م.
15- السيوطي, جلال الدين, الإتقان في علوم القرآن, المكتبة العصرية – بيروت,1424هـ - 2003م.
16- السيوطي, جلال الدين, التحبير في علم التفسير, مطبوعات وزارة الأوقاف – قطر, ط1, 1416هـ - 1995م.
17- الشوكاني, محمد بن علي, فتح القدير, عالم الكتب.
18- العف, محمد, المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها, رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية – غزة – قسم التفسير وعلوم القرآن, 1430هـ-2009م.
19- المرسي, كمال الدين, فواصل الآيات القرآنية , دار الوفاء – الإسكندرية, 2000م.